

الصلوة قوة روحية ونفسية



الصلوة الحقيقية التي يريدها الإسلام تمد المؤمن بقوة روحية ونفسية تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا. ولذا قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبَرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (البقرة/ 153)، (وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبَرِ وَالصَّلَاةِ وَإِذَا هَمَا لَكُبَيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاطِعِينَ * الَّذِينَ يَظْهُونَ أَزْهَمُ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَزْهَمُ إِلَائِهِ رَاجِعُونَ) (البقرة/ 45-46). وكان النبي (ص) إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [1]. في الصلاة يفضي المؤمن إلى ربه بذات نفسه، ويشكو إليه من بنه وحزنه. ويستفتح بباب رحمته، ويستنزل الغيث من عنده (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَدَّطُوا وَيَنْذِشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْجَمِيدُ) (الشورى/ 28). في الصلاة يشعر المؤمن بالسکينة والرضا والطمأنينة. إنّه يبدأ صلاته بالتكبير فيحس بأنّه أكبر من كل ما يروعه ومن يروعه في هذه الدنيا، ويقرأ فاتحة الكتاب فيجد فيها تغذية للشعور بنعمة الله (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)، وتغذية للشعور بعظمته الله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) وتحفيز للشعور بال الحاجة إلى هداية الله (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَهُمْ وَلَا الصَّالِحِينَ) (سورة الفاتحة). فلا عجب

أن تمد الصلاة المؤمن بحيوية هائلة، وقوه نفسية فياضة. وقد بيّن الرسول (ص) مبلغ الأثر النفسي للصلوة وما يسبقها من وضوء ذكره تعالى، وكيف يستقبل المؤمن المصلي يومه ويبدأ حياته الجديدة كل صباح. قال: "يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على كل عقدة: عليك ليل طويل فارقد، فإذا هو قام فذكره إنحلت عقدة، فإذا توضأ انحلت عقدة ثانية، فإذا قام إلى الصلاة انحلت عقدة الثالث، فأصبح طيب النفس نشيطاً، وإن أصبح خبيث النفس كسلان" [2]. وفي عصرنا الحديث نرى من علماء الكون والحياة طبيباً شهيراً مثل الدكتور "الكسيس كاريل" يبين لنا في بحث له مدى هذه القوة التي يكتسبها المؤمن من الصلاة فيقول: "لعل الصلاة هي أعظم طاقة مولدة للنشاط عرفت إلى يومنا هذا، وقد رأيت بوصفني طبيباً كثيراً من المرضى فشلت العقاقير في علاجهم، فلما رفع الطب يديه عجزاً وتسليناً". تدخلت الصلاة فأبرأتهم من عللهم. إن الصلاة كمعدن "الراديوم" مصدر للإشعاع، ومولد ذاتي للنشاط، وبالصلوة يسعى الناس إلى استزادة نشاطهم المحدود، حين يخاطبون القوة التي لا يفني نشاطها. إننا نربط أنفسنا حين نصلى، بالقوة العظمى التي تهيمن على الكون، ونسألها ضارعين أن تمنحنا قبساً منها نستعين به على معاناة الحياة، بل إن المضراة وحدها كفيلة بأن تزيد قوتنا ونشاطنا، ولن تجد أحداً صرع إلى الله مرة إلا عادت عليه الصلاة بـأحسن النتائج" [3]. هذا في الصلاة عموماً. فكيف بصلة الإسلام؟.

خلقية: وفي هذه القوة مدد لضمير المؤمن بقويه على فعل الخير، وترك الشر، ومحابية الفحشاء والمنكر. ومقاومة الجزع عند الشر، والمنع عند الخير، فهي تغرس في القلب مراقبة الله تعالى، ورعايه حدوده، والحرص على المواقف، والدقة في الموعيد، والتغلب على نوازع الكسل والهوى. وجوانب الضعف الإنساني. وفي هذا يقول القرآن الكريم: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلُقَ هَلْكُوعَا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعَا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنْدُوعَا * إِلَّا الْمُصَلَّى يَسِينَ * إِلَّا دَرَنَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ) (المعارج/ 23-19)، (وَأَقْمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَذَهَّبَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) (العنكبوت/ 45). وما نرى من مصلين قد صعفت أخلاقهم. أو انحرف سلوكهم فلا بد أن صلاتهم جثة بلا روح، وحركات جسم بلا حضور عقل، ولا خشوع قلب، وإنما الفلاح للمؤمنين (إِلَّا دَرَنَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) (المؤمنون/ 2) أما المتطاهرون بالصلوة دون أن ترق قلوبهم، أو تفتح للخير صدورهم. فما أحقرهم بوعيد الله: (فَوَيْلٌ لِلْمُمْصَلَّى يَسِينَ * إِلَّا دَرَنَ هُمْ عَنِ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * إِلَّا دَرَنَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَدَعُونَ الْمَمَاءُونَ) (الماعون/ 7-4). الهوا منش:

[1]- رواه أحمد وأبو داود عن حذيفة: "كان إذا حز به أمر صلى" وإنسانه صالح. ومنه أخذ بعضهم ندب صلاة النازلة، وهي ركعتان عقبها، وكان ابن عباس يفعل ذلك، ويقول: نفعل ما

- [2] أمراً به بقوله: "واستعينوا بالصبر والصلوة" كذلك في التيسير للمناوي ج2، ص245.

رواہ البخاری.

[3] - من كتاب "دع القلق" لدیل کارنیجي، ص299، ط ثانية.

المصدر: كتاب العبادة في الإسلام